السيرة النبوية

الجهر بالدعوة

إعداد

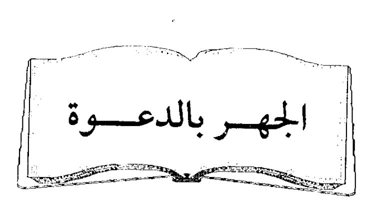
محمد عبده

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م

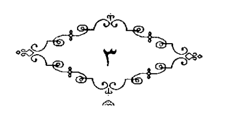
مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٢٥٧٨٨٢



كان رسول الله ﷺ يدعو أهله وجيرانه وأقاربه ، ولكن كانت الدعوة فى السر ، ولقد رأى المشركون من أهل مكة خطورة هذه الدعوة ، فعذبوا كل من آمن ودخل فى الإسلام.

وكان التعذيب يقتصر على الإيذاء البدنى ، والسباب والشتائم، والضحك والسخرية إلى أن أمر المولى عز وجل رسوله محمدًا ﷺ بالجهر بالدعوة . . . ومعنى الجهر ، أن يُحدث كل الناس المسافر ، والغريب ، والقريب ، والبعيد ، وأهل مكة وغيرها.

وجاء الأمر بالجهر فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)** ﴾ [الحجر: ٩٤] .

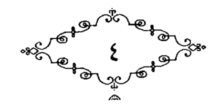


وأيضا : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) ﴾ [الشعراء: ٢١٤ ـ ٢٢٠].

بعد أن جاء هذا الأمر بالجهر بالدعوة جاء رسول الله ﷺ إلى جبل الصفا ثم صعد عليه ونادى بأعلى صوته قائلا: « يا صباحاه . . . ! يا صباحاه . . . ! » .

وعندما سمع أهل مكة هذا النداء أسرعوا لينظروا ماذا حدث؟. ومن لم يقم منهم أرسل رجلاً حتى يرى ما سيقوله محمد ﷺ، حتى يرجع ويقص عليه الخبر.

وبعد أن اجتمع أهل مكة عند رسول الله ﷺ .



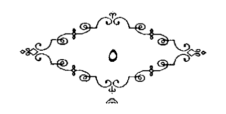
قال رسول الله ﷺ : « يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر ، يا بنى كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ » « معنى ذلك أى لو قلت لكم : هناك من جاء لحربكم هل تصدقونى ؟ ».

فقالوا : نعم . . . !

فقال رسول الله ﷺ : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» .

فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا؟

وأبو لهب يقصد بهذا السخرية والاستهزاء برسول الله ﷺ ، فأنزل ربنا عز وجل فى حقه : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ**



حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾ .

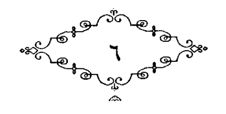
* قريش تريد قتل رسول الله ﷺ :

ظل رسول الله ﷺ ينشر دعوته سرًا ثلاث سنوات وكانت قريش تؤذيه وتؤذى من معه خلال هذه السنوات الثلاث .

ولكن بعد الجهر بالدعوة أصبح الأمر بالنسبة لهم لا يطاق وخصوصًا بعد أن ازداد عدد الذين دخلوا الإسلام .

وهم يخشون قتل سيدنا محمد ﷺ لأن قومه أقوياء وأشداء خصوصا عمه أبا طالب الذى أعلن أن رسول الله ﷺ فى حمايته؛ وهنا فكروا فى أمر خبيث وذهبوا لينفذوه .

هذا الأمر هو أنهم سيعطون «عمارة بن الوليد بن المغيرة» لأبى طالب حتى يصير له ولدًا ، ويأخذون محمدًا ﷺ مكانه ليقتلوه.

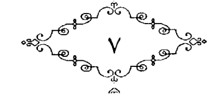


وبالفعل اجتمع الرجال وذهبوا إلى أبى طالب وقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أشد وأقوى شاب فى قريش ، وهو أيضا أجمل شباب قريش خذه فهو لك ، واتخذه ولدًا ، وأعطنا محمدًا الذى خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم ، فنقتله وهكذا يكون الأمر رجلاً برجل.

فقال أبو طالب : والله بئس ما تسوموننى - أى بئس ما تطلبون منى وتفاوضون عليه - ، أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم «أى أطعمه وأسقيه » وأعطيكم ابنى تقتلونه؟!!

هذا والله لا يكون أبدا .

وهنا قال المطعم بن عدى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن



تقبل منهم شيئا .

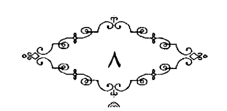
فقال أبو طالب لمطعم : والله ما أنصفونى ، ولكنك قد أجمعت خذلانى وتعين قومى على ، فاصنع ما بدا لك.

وانصرف أهل الكفر وقد اشتد بهم الغيظ ، فقد فشلت خطتهم الماكرة التى نصبوها ليقتلوا سيد الخلق محمداً ﷺ .

*** إسلام حمزة عم رسول الله ﷺ :**

وقوف أبى طالب عم رسول الله ﷺ بجوار سيدنا محمد ﷺ كان يمنع المشركين من قتل سيدنا محمد ﷺ ، ولكن لم يكن يمنعهم من إيذائه بالقول ، والضحك ، والسخرية .

ولعل هذه السخرية كانت سببا فى إسلام عم رسول الله ﷺ «حمزة بن عبد المطلب » رضى الله عنه .



وتعالوا معى يا أحبابى لنقرأ قصة إسلامه .

خرج رسول الله ﷺ ذات يوم ، وبينما هو عند الصفا إذ رآه عدو الله أبو جهل ، فقام أبو جهل وشتم رسول الله ﷺ وآذاه وعاب عليه وعلى دينه.

فحزن رسول الله ﷺ حزنا شديدًا ، ولم يرد على أبى جهل ولا بكلمة واحدة ، وعاد إلى داره.

ورأت جارية حمزة بن عبد المطلب كل ما حدث ، وكان حمزة ـ رضى الله عنه ـ قد خرج ليصطاد ومعه سلاحه ، وقوسه، وعندما عاد قالت الجارية : يا حمزة لقد فعل أبو جهل كذا. . . وكذا بابن أخيك محمد ﷺ .

فغضب حمزة ـ رضى الله عنه ـ غضبا شديدًا واحمر وجهه وحمل قوسه ، وذهب إلى حيث يجلس عدو الله أبو لهب ،

وحينما رآه قال حمزة - رضى الله عنه - : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟

ثم ضربه بالقوس على رأسه ضربة قوية جرحت رأسه جرحًا كبيرًا .

ثم قال حمزة - رضى الله عنه - بعد أن ضربه : رد ذلك على إن استطعت .

وكان يجلس بجوار أبى جهل ، بنى مخزوم فقاموا يريدون العراك مع حمزة - رضى الله عنه - .

فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإنى والله قد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا .

وانصرف حمزة بن عبد المطلب بعد أن أشهر إسلامه أمام الجميع ففرح المسلمون فرحًا شديدًا ، وفرح رسول الله ﷺ فرحا

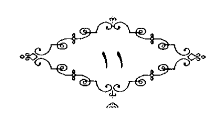
شديدًا لإسلام عمه حمزة ـ رضى الله عنه .

* موقف أهل مكة من القرآن :

سبب عداوة أهل مكة للرسول ﷺ هو الدنيا ، وليس هناك سبب آخر .

فقريش كانت تبيع وتربح أموالاً طائلة من الأصنام وتنتفع من عام الحج ، وكانوا يملكون العبيد ، والإسلام يحرم عبادة الأصنام ويأمر بعبادة المولى عز وجل ، ومعنى هذا أن تجارة الأصنام سوف تفشل ويخسرون بذلك مبالغ كثيرة ، وكذلك الإسلام يأمر بالمؤاخاة ومعني ذلك فشل تجارة العبيد .

هذا هو السبب الحقيقى لعداوة أهل مكة مع محمد ﷺ وأتباعه، والدليل على ما نقول يا أحبابى هذه القصة .



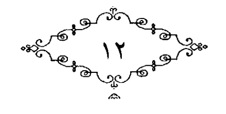
* الوليد وموقفه من القرآن :

عندما يأتى الليل يقوم أهل مكة وكأنهم يتلصصون وينظرون في الطرقات ، ويتخفى كل واحد منهم حتي يصعدوا إلى المكان الذى يجلس فيه محمد ﷺ مع أصحابه ويقرأ لهم القرآن .

وعندما يأتى الفجر يذهب كل واحد إلى داره ، وهو يخشى أن يراه الآخر.

نعم . . . كان أهل مكة يستمتعون بسماع القرآن من رسول الله ﷺ.

وفى يوم من الأيام سمع الوليد بن المغيرة القرآن فأعجبه جدًا وكان الوليد من عظماء قريش ، وأكثرهم مالا . . وأولادا . . ونفوذا، وعندما سمع القرآن قال: والله لقد سمعت من محمد



كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلى عليه.

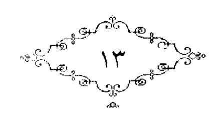
فقالت قريش : كفر الوليد بآلهتها فقام أبو جهل . وأبو جهل اسمه « عمرو بن هشام » وقال: لا . . إن الوليد لا يكفر بآلهتنا أبدا فتعالوا لنكلمه .

فنظر الوليد إليهم وقال : يا أهل قريش تزعمون أن محمدًا مجنون . . فهل رأيتموه يهوس من قبل ؟!

فقالوا : لا .

فقال لهم : وتقولون إنه كاهن . . فهل رأيتموه يتكهن من قبل؟!

فقالوا: لا .



فقال لهم : وتزعمون : أنه شاعر .. فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط؟!

فقالوا : لا .

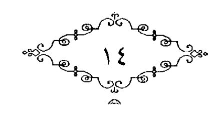
فقال لهم : وتزعمون أنه كذاب .. فهل جربتم عليه شيئا من الكذب.

فقالوا: لا .

ثم غضب أهل مكة ونظروا جميعا إلى الوليد ثم قالوا له : فما هو ؟!

وعندما رأى الوليد الغضب فى وجوههم واحمرار عيونهم ، فكر قليلا .

ثم قال : ما هو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل



وأهله، وولده ومواليه .

وعندما قال الوليد هذا ، فرح أهل مكة لأنهم تأكدوا من أن الوليد لم يكفر بآلهتهم .

وفي ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)** ﴾ [المدثر : ١١ ـ ٢٥].

*** خوف أهل قريش :**

رغم أن أهل قريش فرحوا لأن الوليد لم يكفر بآلهتهم ، إلا

أنهم خافوا خوفا شديدا ، فهذا الدين ينتشر كل يوم رغم إيذاء محمد ﷺ ومن معه .

لذلك قرروا : أن يشتد تعذيب من آمن حتى وصل شدة التعذيب إلى القتل ولقد قتل فى ذلك « سمية » أم سيدنا عمار بن ياسر ، وأُذِيَ المسلمون إيذاء شديدًا حتى قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنا نهلك من شدة العذاب.

وكان الحل الوحيد هو الهجرة ، نعم الهجرة إلى الحبشة.

